@ 736 @ الأرض) ^ من البناء والغرس . وقوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها ، وعلى تمنعه بها . ^ (فأخذهم ا) ^ بعقوبته ^ (بذنوبهم) ^ حين أصروا ، واستمروا عليها . ^ (إنه قوي شديد العقاب) ^ فلم تغن قوتهم عند قوة ا شيئا . بل من أعظم الأمم قوة ، قوم عاد الذين قالوا : ^ (من أشد منا قوة) ^ أرسل ا إليهم ريحا ، أضعفت قواهم ، ودمرتهم كل تدمير . ثم ذكر نموذجا من أحوال المكذبين بالرسل ، وهو فرعون وجنوده فقال : ^ (ولقد أرسلنا موسى) ^ إلى قوله : ^ (أشد العذاب) ! 2 2 ! (ولقد أرسلنا) ^ إلى جنس هؤلاء المكذبين ^ (موسى) ^ ابن عمران . ^ (بآياتنا) ^ العظيمة ، الدالة دلالة قطعية ، على حقيقة ما أرسل به ، وبطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك ، وما يتبعه . ^ (وسلطان مبين) ^ أي : حجة بينة ، تتسلط على القلوب ، فتذعن لها ، كالحية ، والعصا ، ونحوهما من الآيايت البينات ، التي أيد ا بها موسى ، ومكنه مما دعا إليه من الحق . ^ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر ك ذاب * فلما جآءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبنآء الذين آمنوا معه واستحيوا نسآءهم وما ك يد الكافرين إلا في ضلال * وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينك م أو أن يظهر في الأرض الفساد * وقال موسى إني عذت بربي وربك م من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب * وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي ا وقد جآءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن ا لا يهدي من هو مسرف كذاب * يقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس ا إن جآءنا قال فرعون مآ أريكم إلا مآ أرى ومآ أهديكم إلا سبيل الرشاد * وقال الذي آمن يقوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب * مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما ا يريد ظلما للعباد * ويقوم إني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من ا من عاصم ومن يضلل ا فما له من هاد * ولقد جآءك م يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جآءك م به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث ا من بعده رسولا كذلك يضل ا من هو مسرف مرتاب * الذين يجادلون في آيات ا بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند ا وعند الذين آمنوا كذلك يطبع ا على ك ل قلب متكبر جبار * وقال فرعون يهامان ابن لي صرحا لع لي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلى إل ه موسى وإني لأظنه كاذبا وك ذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما ك يد فرعون إلا في تباب * وقال الذي آمن يقوم اتبعون أهدك م سبي ل الرش اد * يقوم إنما ه ذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار الق رار * من عم ل س

يئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عم ل صالحا من ذك ر أو أنثى وهو مؤمن فأول ئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب * ويقوم ما لي أدعوك م إلى النجاة وتدعونني إلى النار * تدعونني لأك فر با وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار * لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنآ إلى ا وأن المسرفين هم أصحاب النار * فستذكرون مآ أقول لك م وأفوض أمري إلى ا إن ا بصير بالعباد * فوقاه ا سيئات ما مك روا وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) ^ ^ (إلى) ^ المبعوث إليهم ^ (فرعون وهامان) ^ وزيره ^ (وقارون) ^ الذي كان من قوم موسى ، فبغى عليهم بماله . وكلهم ردوا عليه أشد الرد ^ (فقالوا ساحر كذاب) ^ . ^ (فلما جاءهم بالحق من عندنا) ^ وأيده ا بالمعجزات الباهرة ، الموجبة لتمام الإذعان ، لم يقابلوها بذلك ، ولم يكفهم مجرد الترك والإعراض ، بل ولا إنكارها ومعارضتها بباطلهم . بل وصلت بهم الحال الشنيعة إلى أن ^ (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ، وما كيد الكافرين) ^ حيث كادوا هذه المكيدة ، وزعموا أنهم إذا قتلوا أبناءهم ، لم يقووا ، وبقوا في رقهم ، وتحت عبوديتهم . ^ (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) ^ حيث لم يتم لهم ما قصدوا ، بل أصابهم ضد ما قصدوا ، أهلكهم ا ، وأبادهم عن آخرهم . (قاعدة) وتدبر هذه النكتة ، التي يكثر مرورها بكتاب ا تعالى . إذا كان السياق في قصة معينة ، أو على شيء معين ، وأراد ا أن يحكم على ذلك المعين بحكم ، لا يختص به ذكر الحكم ، وعلقه على الوصف العام ، ليكون أعم ، وتندرج فيه الصورة ، التي سبق الكلام لأجلها ، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين . فلهذا لم يقل (وما كيدهم إلا في ضلال) بل قال : ^ (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) ! 2 2 ! (قال فرعون) ^ متكبرا متجبرا ، مغررا لقومه السفهاء : ^ (ذروني أقتل موسى وليدع ربه) ^ أي : زعم قبحه ا أنه لولا مراعاة خواطر قومه ، لقتله ، وأنه لا يمنعه من دعاء ربه . ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله ، وأنه نصح لقومه ، وإزالة للشر في الأرض فقال : ^ (إني أخاف أن يبدل دينكم) ^ الذي أنتم عليه ^ (أو أن يظهر في الأرض الفساد) ^ . وهذا من أعجب ما يكون ، أن يكون شر الخلق ، ينصح الناس عن اتباع خير الخلق . هذا من التمويه والترويج ، الذي لا يدخل إلا عقل من قال ا فيهم : ^ (فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين) ^ . ^ (وقال موسى) ^ حين قال فرعون تلك المقالة الشنيعة ، التي أوجبها له طغيانه ، واستعان فيها بقوته واقتداره ، مستعينا موسى بربه : ^ (إني عذت بربي وربكم) ^ أي : امتنعت بربوبيته ، التي دبر بها جميع الأمور . ^ (من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) ^ أي : يحمله تكبره ، وعدم إيمانه بيوم الحساب ، على الشر والفساد . يدخل فيه فرعون وغيره ، كما تقدم قريبا في القاعدة ،

فمنعه الله تعالى بلفظه ، من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب . وقيض له من الأسباب ، ما اندفع به عنه شر فرعون وملئه . ومن جملة الأسباب ، هذا الرجل المؤمن ، الذي من آل فرعون ، من بيت المملكة ، لا بد أن يكون له كلمة مسموعة ، وخصوصا إذا كان يظهر موافقتهم ، ويكتم إيمانه ، فإنهم يراعونه في الغالب ، ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر . كما منع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، بعمه أبي طالب من قريش ، حيث كان أبو طالب كبيرا عندهم ، موافقا لهم على دينهم ، ولو كان مسلما لم يحصل منه ذلك المنع . فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم ، مقبحا فعل قومه ، وشناعة ما عزموا عليه : ^ (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) ^ أي : كيف تستحلون قتله ، وهذا ذنبه وجرمه ، أن يقول ربي الله ، ولم يكن أيضا قولا مجردا عن البينات ، ولهذا قال : ^ (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) ^ لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارا علم به الصغير والكبير ، أي : فهذا لا يوجب قتله . فهلا أبطلتم قبل ذلك ، ما جاء به من الحق ، وقابلتم البرهان ببرهان يرده ، ثم بعد ذلك نظرتم ، هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا ؟ فأما وقد ظهرت حجته ، واستعلى برهانه ،